العلمانية الهندوكية

بقلم: شريف المجاهد

المقدمة

لقد اعترف جواهر لال نهرو في لحظة نادرة من التسامي في النزاهة بقوله: يبدو أننا في الهند نملك شخصية منفصمة. فنحن نتحدث عن اللاعنف وعن ثقافتنا ومدنيتنا بينما ننحدر في سلوكنا اليومي إلى مستوى غير مدني قط[1].

وفي الواقع يبدو أن هناك انقساماً كبيراً في العقلية الهندوكية، وأن عدد المتناقضات المترابطة التي تكوِّن السلوك الهندوكي تجعل المثقف الهندوكي بعتبر الشخصية الهندوكية ليست (يانوسا) رباعي الجباه بل كثير الجباه[2].

الجندية مقابل اللاعنف:

بما أن الديانة الهندوكية تنادي بحياة سلبية ونكران الذات، وبما أن غاندي قد نادى باللاعنف فقد اعتبر الهنادكة قوماً محبين للسلام واللاعنف. ويعلق نيراد تشودهري بقوله: في الواقع إن القليل من الجماعات البشرية تحب الحرب وتميل إلى إراقة الدماء، والأمر الذي يضلل الآخرين هو كون الجندية الهندوكية تكمن منغمرة تحت ركام من الأفكار الأسطورية المتعلقة باللاعنف. وقد نجحت نحو ٢٥ كلمة فقط وردت في كتابات (آشوكا)[3] في طمس الآلاف

(١) تصريح في البرلمان الهندي في ٢٣ فبراير ١٩٥٦.

(٢) يانوس JANUS هو أحد الآلهة القدامى عند الرومان وهو حارس الأبواب ولذلك فإنهم يصورونه بوجهين وقد أخطأ المؤلف إذ صوّره بأربعة وجوه.

(٣) آشوكا هو أحد ملوك الهند وقد حكم منطقة واسعة وعاش ما بين ٢٧٣-٢٣٦ ق.م، وقد

تقريباً من الكلمات الأخرى التي وردت في الكتابات وطمست مجمل الأدب السنسكريتي الذي يحمل الدليل القاطع على الجندية الهندوكية العاتية. حتى أن آشوكا نفسه كان قد شن حرباً دموية على (كالينغا)[1] أدت إلى ترحيل ٥٠ ألفاً وقتل ١٠٠ ألف وهلاك مثل هذا العدد عدة مرات بطرق مختلفة ثم اعتنق الدين عندما اعترف الهنادكة الآريون بالتبعية لسيادته، ومن بين تصريحات آشوكا الفضولية عن اللاعنف بعد مذبحة (كالينغا) التي جرت في القرن الثالث قبل الميلاد وبين إعادة توكيد اللاعنف في القرن العشرين من قبل المهاتما[2] غاندي لا نجد كلمة واحدة عن اللاعنف في ممارسة الحكم وتطبيقه عند الهنادكة لأن الهندوكية في تاريخها لا تتكلم إلا عن الانتصارات والفتوحات التي مارسها ملوكهم إذا لم تكن تبجحات صريحة عن العطايا والسلالات العرقية).

ولما كانت اللغة والآداب من أفصح الأدوات التي تعبر عن الممارسات الوطنية وتعكس صورة الجندية المسيطرة اعتباراً من الملاحم حتى آخر قصيدة طويلة فإن كل الأدب السنسكريتي نراه مفعماً بوصف المعارك والفتوحات التي كانت شغل ملوك الهنادكة الشاغل إذ أنهم كانوا يتلقون المديح دائماً على أعمالهم التي كانوا يبيدون فيها جميع الأعداء وصيغة التمجيد الجامعة بالنسبة إليهم هي أنهم كانوا بحروبهم يثيرون مناحات جماعية بين زوجات أعدائهم. حتى أن الكلمة التي تشير إلى اللاعنف في اللغة السنسكريتية وفي جميع اللغات الهندية المعاصرة ذات المصدر السنسكريتي والتي هي (أهيمسا) تدل على أنها قد انقلبت إلى معنى مناقض تماماً لها فالهندوكي لا يدعو إلى محبة الإنسان للإنسان على أنها فضيلة إيجابية، بل على أنها امتناع عن العنف وإراقة

= ترك الهندوكية واعتنق البوذية وعمل بموجب تعاليم بوذا السلمية ومات شاباً.

(١) KALINGA

(٢) لقد منح الهنادكة غاندي لقب مهاتما أي الروح الأعظم لأنه هو من الطبقة الثالثة التي تأتي فوق المنبوذين مباشرة وقد فعلوا ذلك لكي يسهل على الطبقات العليا السير في ركابه.

الدماء. وأن (همسا) أي العنف هي الصفة الإيجابية و(اهيمسا) هي الفضيلة السلبية.

ليس من الضروري أن تقوم روح الجندية مقام استعمال كلمة اللاعنف التقليد الأصيل والتاريخي للهنادكة. بل أهم من ذلك كله أن هذا الرباط جوهري جداً بالنسبة لروح الهنادكة الوطنية حتى أنه بالرغم من محاولات الهنادكة تغطية أعمالهم بطبقة رقيقة من اللاعنف فإن روح الجندية عند الهنادكة تزحف أحياناً دون شعور منهم في تصريحات زعمائهم السياسيين. وعلى سبيل المثال عندما أدان العالم الهند لعدوانها على غوا[1] في ديسمبر ١٩٦١، دافع وزير الدفاع الهندوكي عن بلده قائلاً: (إنكم تعلمون أننا لم نعد بالتخلي عن اللجوء إلى العنف نحو أي بلد يقوم بانتهاك مصالحنا). واستطرد يتحدث عن كيفية استعمال القوة وأين ومتى يكون للحكومات حرية التصرف...

وتولت صحيفتان غربيتان تفسير معنى هذا الكلام بلغة مذهب الأخلاقية العالمية فأشارت صحيفة نيويورك تايمز بقولها: يعتبر هذا الكلام مناصرة صريحة لسياسة القوة المطلقة. فهو لا يثير فقط موضوع العدوان ضد غوا ليصبح مبدأ عاماً دون اعتبار لميثاق الأمم المتحدة بل يتضمن أيضاً تهديداً بشن حرب عدوان مماثل ضد الدول الأخرى التي هي على خلاف مع الهند مثل باكستان.

وبالإضافة إلى ذلك صرح رئيس القوات المسلحة في الهند بأن الاستعمار معناه العدوان الدائم وذلك لتسويغ استعمال القوة ضد أي بلد يعتقد بوجود الاستعمار. وبهذا تتفق الهند مع الاتحاد السوفييتي على استحسان أسلوب حروب التحرير الذاتية واعتبارها حروباً عادلة بصرف النظر عن إرادة السكان المتأثرين بها.

وعلقت صحيفة هيرالد تريبيون بقولها: فيما مضى لم تتخذ الهند وضعها وموقفها القاسي من نزاع كشمير بناء على مبادىء فلسفية بل على سياسة القوة.

---

(١) المستعمرة البرتغالية في غرب الهند.

ونجد أن موقفها الديني الذي هيمن على كثير من مواقفها وتصريحاتها العالمية يتناقض بغرابة مع سلوكها وسياستها.

ليس تعليق وزير الدفاع الهندي في لحظة الانتصار هو وحده الذي يشير إلى أن استعمال القوة يشكل وسيلة ذات شأن في السياسة الهندوكية المعاصرة بل يدل أيضاً على أن كتابات سردار بانيكار المدروسة بعقل، وهو الباحث الأول في سياسة الهند الخارجية تدل على أن بانيكار يعتبر (كاوتاليا)[1] في القرن الثالث قبل الميلاد الذي كتب على الأرجح أول عمل مكيافيللي حول سياسة القوة في تعاليم ارته شاستر[2] على أنه الكاهن الأكبر للفكر والممارسة السياسية في الهند. ففي تعاليم ارته شاستر التي تؤكد على أن القوة هي القاعدة الوحيدة للدولة نجد أن (دندا)[3] هي رابع وسيلة تستعمل عندما تحبط الوسائل الأخرى وتعني كلمة دندا: تأديب، عقاب، هجوم، اعتداء، عنف، هراوة، عصا، عكاز، جيش، سيطرة، إخضاع، كبت. ويصرح مهابهارت[4]: يجب أن يبقي الملك دائماً عصا العقاب (دندا) مرفوعة في يده. ويقول (منو) من أجل نمو المملكة هناك وسيلتان رئيسيتان هما الاتفاق والعقاب. ومن هنا يعتبر بانيكار أن الحرب استمرار للسياسة عندما تخيب جميع الطرق الأخرى وتبدو الظروف مؤاتية لاتخاذ قرار بالرجوع إلى السلاح.

ومن ناحية أخرى عمل الفكر الهندوكي المعقد أيضاً على تطوير نظرية مثالية من أجل تسويغ ممارسة الهنادكة للحرب. ويبدو أن العنف العسكري ونزعة الهنادكة إلى إراقة الدماء قد أجبرتا المعلمين الأخلاقيين القدماء من الهنادكة على صياغة مفهوم أخلاقي للحرب باعتبارها حرباً ناشئة عن دوافع أخلاقية أي عن الدين إذا أريد فقط كبحها وتطهيرها.

---

(١) KAUTALIYA

(٢) أحد كتب الهنادكة المقدسة.

(٣) دندا معناها اللغوي الهراوة.

(٤) كتاب مقدس عندهم.

وتعتبر أسطورة مهابهارت مثالاً كلاسيكياً عن هذه الحرب العادلة والصفة المميزة هي جواب كرشنا إلى دراوبادي[1] بناء على احتمالات بعثته نيابة عن يود.[2] هيشيرا إلى كورافاس[3] قال: سأذهب إلى محكمة كورافاس لأطرح قضيتكم بأفضل طريقة وسأحاول إرغامهم على قبول مطالبكم وإذا لم أنجح وأصبحت الحرب ضرورة حتمية فسوف نري العالم أنكم على حق وأنهم مخطئون، وذلك حتى لا يخطىء العالم في حكمه بيننا. وهكذا بادعاء براءتكم وإلقاء الجرم عليهم سأجعل العالم يدرك بأنكم تقاتلون من أجل إحقاق حقكم فقط أو بتعبير العصر أنكم لستم معتدين.

وبادعاء دور المظلوم يكمن جوهر الشرع. وقد وفرت الشريعة المسوغ الأخلاقي لثورة الهنادكة على المسلمين في زمن القرون الوسطى كما أنها وفرت الأسباب الدينية لدعوة (تيلاك)[4] الهنادكة إلى العنف والانتقام من المسلمين والبريطانيين معاً في العصر الحديث.

وعلى كل حال فإن روح الجندية شعور هندوكي قديم وعميق الجذور بحيث يبدو من المتعذر استئصاله من نفوسهم ولكنه يتخذ شكلاً جديداً أو قالباً بديلاً بحسب الظروف. ولذا فإن المبادىء الهندوكية والعواطف والأفعال إنما تقوم على القوة عند الهنادكة، ولم يظهر الهنادكة في أي وقت مضى أنهم من محبي السلام أو أنهم ضد الجندية حتى أنهم زمن الاستقلال لم يقدموا أنفسهم على أنهم كذلك في اتباع سياستهم ولهذا فقد كان من الطبيعي بعد أن بقيت روح الجندية مكبوتة عند الهنادكة زمن الحكم البريطاني أن تنفجر حينما وجدت الفرصة سانحة وظهرت بقوة حتى يوم استقلت على الرغم من مظهرها الناعم المصطنع ودعواها عدم العنف في السياسة.

---

(١) DRAUPADI

(٢) YUDHISHTHIRA

(٣) KAURAVAS

(٤) Tilak

فالهندوكية خلال العشرين سنة الماضية لجأت مرات إلى العنف على الرغم من دعوى عدم العنف وذلك أنها استولت بالقوة على إمارة جوناكده والجزء الأكبر من كشمير وحيدرآباد وغوا بينما كان حكام الهند يدعون عدم العنف ويعلنون رغبتهم في التفاوض والتفاهم فقد لجأوا بالفعل إلى القوة حينما رأوا الفرصة مؤاتية وانبعث عند مصلحي هنادكة القرن التاسع عشر شعور بفائدة الحرب من الناحيتين العاطفية والثقافية وذلك بتفسير سبع روايات بنغالية من أصل ١٤ رواية من أشهر الروايات البنغالية التي كتبها الأديب البنغالي بنكيم تشاندرا شترجي وكانت العامل في تفجير أول حركة عسكرية وطنية بنغالية سنة ١٩٠٥ وكونت تفجير حركة الغدر[١] في البنجاب، وقد تمثل العنف الهندوكي أيضاً في الفرقة من الجيش الشعبي التطوعي التي شكلها سبهاس تشاندرا بوز سنة ١٩٢٨ وفي ادعاء غاندي لنفسه صفة الجنرال ووصفه أتباعه بالجيش، كما أنها تمثلت في الجيش الوطني الذي ألفه بوز خلال الحرب العظمى الثانية وفي الإستقبال الرائع البطولي الذي استقبل فيه ضباط هذا الجيش سنة ١٩٤٥.

وظهر أيضاً العنف الهندوكي في حديث غاندي[٢] مع جناح. ومما يثير

---

(١) يسمي الإنكليز والهنادكة الثورة التي قام بها المسلمون سنة ١٨٥٧ لطرد الإنكليز من البلاد وتحريرها من استعمارهم (بحادثة الغدر) والحقيقة إنما هي ثورة تولاها المسلمون لتحرير بلادهم من عبودية الإنكليز ولكن هذه الثورة لم تنجح وقضت نهائياً على الإمبراطورية المغولية.

(٢) انظر دليل مانشستر ٢٩ سبتمبر ١٩٤٧ (التفاصيل في الفصل الثالث). بشكل مشابه في عام ١٩٤٤ هدد غاندي المسلمين بشن حرب لا هوادة فيها في حديثه مع جناح أثناء مباحثاتهما. وكتب غاندي في ٢٨ سبتمبر ١٩٤٤ يقول: إذا كان وجود باكستان يعني سيادة استقلال كاملة بحيث لا يكون هناك شيء مشترك بين هندوستان وباكستان فإني أعتبر هذا الاقتراح أمراً مستحيلاً وهذا يعني أيضاً حرباً لا هوادة فيها (انظر حديث جناح - غاندي في دلهي ١٩٤٤ صفحة ٦١).

الاهتمام أن غاندي بارك إرسال الجنود الهنادكة إلى كشمير للاستيلاء عليها على الرغم من أن أهل البلاد رفضوا هذا الاستيلاء وقد ثاروا ضده لأنه كان استعماراً[1] في أسوأ أشكاله كما قالت صحيفة بريطانية.

(١) انظر إلى حديث نهرو في المجلس النيابي الهندوكي الثامن من مارس ١٩٤٩ فقد قام (روى) قائد الحزب الديمقراطي المتطرف بتلخيص القضية الرئيسية في كشمير في حديث له يوم ٢٨ مايو ١٩٤٨ بقوله: (من هو الطرف الذي له الحق أخلاقياً وشرعياً بتقرير مصير كشمير؟ هل هو الأمير الإقطاعي سيِّء السمعة أو الشعب؟) لقد تخلت حكومة نهرو الاشتراكية عن حقها في التصويت إلى الأسلاف. إن حق الهند في المحافظة على الجيش في كشمير وشن الحرب فيها ينتج من الحقيقة التي تفيد بأن المهاراجا الهندوكي قرر الانضمام إلى الهند دون استشارة الشعب الإسلامي المهيمن. ومن البديهي أن قرار المهاراجا بضم كشمير إلى هندوستان قرار باطل لأن القول الفصل هو للشعب. والحقيقة التي لا تقبل الجدل أن القليل من المسلمين سيعطون أصواتهم إلى الكونغرس في الانتخابات الأخيرة التي تسمح بالاعتقاد بأن الغالبية المسلمة من سكان كشمير، إذا سنحت لهم الفرصة للاختيار، سيفضلون الانضمام إلى الباكستان فاستيلاء الهند على كشمير دون الأخذ برأي السكان عمل غير قانوني كما أن شن الحرب على هذه الإمارة يعني الاعتداء على بلاد لا تريد الهنادكة.

obeikan.com

التعصّب مقابل التسامح

إن الصفة الأخرى لليانوس الهندوكي هي وجود التعصب والتسامح جنباً إلى جنب. ولأن الهنادكة في التاريخ كانوا قوماً بارعين وناجحين في استنباط الوسائل بحثاً عن الحماية الفكرية ضَد الحقائق البغيضة، هناك تعارض غير سليم بين ما هو موجود فعلاً وبين ما هو مطروح قولاً.

بما أن الديانة الهندوكية فلسفية وتأملية في طبيعتها تعتبر بصرحها المتقن القائم على كثرة الآلهة الكبيرة والصغيرة كُلًّا لا يمكن تجزئته. ومن الصعوبة بمكان تعريفها بعبارة موجزة ومتقنة، لأنها تتضمن طريقة في الحياة، بدلاً من عقيدة محدودة ومتعلقة بالمعبد، وهي تؤثر في وضع الفرد الاجتماعي، وفي زواجه وحتى في الطعام الذي يتناوله، والأصدقاء الذين يختلط بهم وكذلك المهنة التي يقوم بها. لا يمكن اعتبار أية شريعة صحيحة أو أية عقيدة منفصلة عن الديانة الهندوكية إذ تتراوح معتقداتها من التوحيد العميق إلى عبادة إله بدائي، ومن المذهب العقلاني إلى المعتقدات الأسطورية الشائعة والتافهة. على أية حال إن الشيء الذي يضفي التماسك والاستقرار والاستمرارية على المجتمع الهندوكي هو نظام الطبقات المنغلقة الذي يعتبر حجر الزاوية في معتقدات الهنادكة، وتركيبهم الاجتماعي وطريقة معاشهم.

إن الحقيقة التي تفيد بأن الديانة الهندوكية قد استوعبت في تاريخها جميع أنواع المعتقدات، حتى التعاليم ذات المنشأ الأجنبي، وعملت على توحيدها وتكييفها ببراعة ضمن بنائها الفوقي الضخم والشامل، أثارت هذه الحقيقة الانطباع المقبول ظاهراً بأن الديانة الهندوكية قادرة على احتمال النظريات الفكرية وتقبل الأيديولوجية الأخرى.

إن نظرة فاحصة على طبيعة الديانة الهندوكية وتقدمها في التاريخ تظهر لنا بأن هذه الديانة يمكن مقارنتها مع شجرة البانيان[1] التي توفر الظل والحماية لغيرها من الأشجار ولكنها لا تسمح قط بنمو أي نوع من الأشجار نمواً مستقلاً تحتها. يمكن أن نعزو جزئياً نجاح وقوة الديانة الهندوكية في تعاملها بإتقان مع النظريات الفكرية الدخيلة أو المتطفلة إلى حقيقة وهي: أن الهند تملك سيطرة غريبة على أولئك الذين يقعون تحت ظلها وأن هناك شيئاً ما في شمولها وأمنها يؤدي إلى تهدئة أكثر الأرواح اضطراباً. وفي الواقع ليس هناك مثال في جميع سجلات التاريخ يدل على الخضوع المسالم إلى الغزاة أكثر من ذلك المثال الذي أظهرت فيه الديانة الهندوكية- في وجه الدخول المتكرر للقوة الجديدة - قدرة على جمع كافة القادمين الجدد وضمهم ضمن قالبها الخاص. تعتبر هذه القدرة المطلقة على الامتصاص أحد أسرار قوة الديانة الهندوكية. نتيجة لذلك، باستثناء المسلمين، خضع جميع الغزاة والفاتحين والمهاجرين إلى الهند مثل الساكاس، والهونس البيض والمغول والشعب السيثي من أوربا الشرقية الجنوبية والكوشان والبارثيين وغيرهم... خضعوا جميعاً مع الزمن إلى سياسة التطبع بالتقاليد السائدة واستغرقوا في المجتمع الهندوكي القائم (مع قاعدة المركبة الآرية الدراورية)[2]، وذلك المجتمع الذي كان دون شك على مستوى عال من التمدن نسبياً.

حتى الديانة البوذية والديانة الجينية[3] المنبعثتان من قلب الديانة الهندوكية نفسها قد تمردتا على النظام الاجتماعي الهندوكي القائم ولكنهما لم تحققا نجاحاً يذكر. فبعد أن كانت الديانة البوذية هي الدين السائد في الهند لعدة قرون، أصبحت طبقة خارجية منفصلة عن الديانة الهندوكية. في الواقع أن طريقة فهم الهنادكة للديانة البوذية وتجاوبهم معها يعطينا مثالاً تقليدياً عن تكافؤ

(١) شجر تتدلى أغصانه إلى الأرض حتى يصبح كالمظلة.

(٢) الدراوريون هم أهل الهند الأصليون الذين غزاهم الهنادكة ولا يزال فريق منهم موجود في جنوب الهند.

(٣) الجينية ديانة انبثقت عن الهندوكية وخالفتها في أمور كثيرة.

الضـدين والانقسـام إلى طبقتين عنـد الهنـادكة في طريقة تفهمهم للنظريات الفكـرية غير الهندوكية. في حين تم استيعاب العديد من التعاليم البوذية في الديانة الهندوكية وتم اندماج بوذا نفسه في البانتيون[1] الهندوكي إلا أن الديانة البوذية تم إضعافها في بادىء الأمر عبر عملية تحريف تدريجية من الداخل، ثم طمست على الرغم من جميع الأهداف العملية التي لم تستطع عملية الاضطهاد أن تؤثر فيها على الإطلاق. وعلى الرغم من أنه في السنوات الماضية تعرضت المصادر الهندوكية للديانة البوذية والعلاقة الوثيقة نوعاً ما بين المذهبين للضغط في أحـوال كثيرة من قبـل العلمـاء والقـادة الهنـادكـة، إلا أن حركـة التحرير الجماهيرية للدكتور (امبدكار)[2] عام ١٩٥٦ التي قام بها أتباعه داخل جماعة البـوذيين لم تسبب فقط اضـطراباً في أرجاء الهند، ولكن كانت هناك محاولة لإعاقتها رسمياً، وعلى سبيل المثال سحبت حكومة بمبي الامتياز الخاص الذي كان يتمتع به أتباع البوذية المحدثة باعتبارهم من المنبوذين الهنادكة.

عندما يكون هذا هو موقف الهنادكة من نظرية فكرية ذات أصل هندوكي، يمكن للمرء إذن أن يتخيل بسهولة كراهية الهنادكة الشديدة للنظريات الفكرية الغربية. ولكن منذ أن أقام المسلمون مع الهنادكة ديناً موطد الأركان وحضارة متقدمة، وفق مفاهيمهم المتطورة والقوية عن الحياة والمجتمع، استطاعوا أن يصمـدوا في وجـه التأثيرات المزعجة والقوى الماصة للديانة الهندوكية. ومع ذلـك، حتى الإسـلام، بتعـاليمـه البسيطة ولكنها فعالة، وحماسته التبشيرية وحضارته السامية وجد نفسه عاجزاً في وجه الانعزال العنصري عند الهنادكة.

يعود السبب جزئياً في الخيبة التي أصابت المسلمين إلى حركة (بهكتي)[3] في القرنين الرابع والخامس عشر، تلك الحركة التي مثلت رد فعل حاد على استيعاب الدين الإسلامي ضمن الجهاز السياسي الهندوكي وتحويله إلى مجرد

---

(١) هو هيكل مكرس لجميع الآلهة.

(٢) هو من فرقة المنبوذين وقد تعلم ودرس الحقوق في انكلترا.

(٣) BHHKTI حركة تدعو إلى التقريب بين الهنادكة والمسلمين.

عبادة كما حدث مع الديانة البوذية.

في عام ١٩٢٠ تعرضت حركتا (شودي)[١] و(سانغاتان)[٢] إلى هجوم أكثر شدة لأن حركة شودي تهدف إلى إعادة أولئك الهنادكة الذين اعتنقوا الدين الإسلامي أو الدين المسيحي إلى الهندوكية، والحركة الثانية تهدف إلى تنظيم الهنادكة في مجموعة حربية موحدة ضد المسلمين. لقد قالت صحيفة آرياسماج الصادرة عن لاهور ما يلي: أصبحت حركة شودي موضوع حياة أو موت بالنسبة للهنادكة وكتب شاعر هندوكي يقول: (أيها الهنادكة إذا كان قد بقي فيكم أي شعور ديني يجب ألا تتركوا مسلماً واحداً في العالم). وأكد الدكتور (مونجي) في خطابه الرئاسي الموجه إلى الهنادكة في المجلس النيابي في أوده في إبريل ١٩٢٧: مثلما إنكلترا تخص الإنكليز وفرنسا تخص الإفرنسيين وألمانيا تخص الألمان كذلك فإن الهند تخص الهنادكة. وكتب لالا هارديال أحد زعماء حركة (الغدر) سابقاً: (ليس للمسلمين في الهند علاقة بأي شيء اليوم، وسيتم دمجهم في المستقبل تدريجياً في الهندوكية بفضل حركة شودي...) وعلّق في مناسبة أخرى بقوله: (٢٠٪ من المسلمين لا يمكن دمجهم في أي بلد، وكلما حاول بلد أن يبتلع هذا الحجر، أي ٢٠٪ من المسلمين، فإنه يصاب بأوجاع في معدته...) وقد أخذ يستعد ليتحمل وجود هؤلاء المسلمين إذا توافقوا كلية مع الهندوكية. في تلك الحالة عليهم اتخاذ أسماء هندوكية والتخلي عن الأسماء ذات المصدر العربي والإيراني وعليهم أن يحتفلوا بالأعياد الهندوكية ويحترموا أبطال الملاحم الهندوكية، ويحترموا عادات الهنادكة، ويكفوا عن إطلاق اسم المسلمين على أنفسهم. ولكن إذا اختاروا أن يتبعوا معتقداتهم الدينية يمكن أن يسمح لهم بالتعبد بطريقتهم الخاصة ولكن مع ذلك يجب أن يطلقوا على أنفسهم اسم (هنادكة مسلمون).

الجدير بالذكر أن نظريات هارديال قد شغلت الاتجاه السائد في التفكير

---

(١) Shudahi

(٢) SANGATAN

الهندوكي بمشكلة المسلمين. وعلى سبيل المثال قال عالم هندوكي معاصر حول هذا الموضوع ما يلي: منحت الهندوكية عدة فئات اجتماعية الحق بالدخول في جماعتها وسمحت لهم بالاحتفاظ بطرقهم الخاصة في الحياة الاجتماعية... وكانت ستفعل الشيء ذاته بكل سرور مع جماعة المسلمين أيضاً ولن تجبرهم على قبول السيادة الكهنوتية لطبقة المثقفين العليا كما فعلت مع بعض الفئات مثل البوذيين والجينيين الذين لم يقبلوا بسلطة (الويد)[1].

في مقابلة جرت سنة ١٩٦٦ قال الدكتور اللطيف (بالراج مادهوك)، أستاذ التاريخ السابق في جامعة دلهي والذي ترأس الاجتماع الإحيائي[2] لجان سنغ قال: في هذا البلد لم نصر إطلاقاً على الانسجام الديني ولن نفعل ذلك الآن. والشيء الوحيد الذي نصر عليه هو اتباع عادات هذه البلاد واعتبارها عاداتهم. وجواباً على سؤال وجه إليه حول ما يعنيه بكلمة هندوكي، هل يعني الناحية الدينية أو القومية؟ قال الدكتور مادهوك: كل فرد يعيش في الهند هو هندوكي. فالهندوكية ليست بدين بل هي اسم حضارة وتهذيب وطريقة حياة خاصة. وقال بعد ذلك: إنه في حين أن جنسيته هو هندوكية فإن دينه يقوم على أحكام الويد وهذا يتطابق تماماً مع موقف الهنادكة التقليدي الذي يعتبر المجتمع الهندي ذا حدود مشتركة مع المجتمع الهندوكي.

وقد اختصر أنطوني لوكاس معنى ذلك بقوله: إن ما يهم المسلمين من كل ما تقدم هو: ... إن الموضوع أكبر من مجرد عملية دمج لأن الهندوكية ليست مجرد دين بقدر ما هي طريقة حياتية. فهي لا تفرض على الفرد كيف يصلي فقط بل تفرض عليه كيف يأكل ويلبس ويتحدث ويعمل ويتزوج ويموت. أما الإسلام فهو دين أكثر شمولاً. لهذا إذا طلبنا من المسلم أن يتخلى عن المسجد ويتبنى الطريقة الهندوكية في الحياة في أمور أخرى نكون بذلك قد طلبنا منه التخلي عن الإسلام ليصبح هندوكياً.

---

(١) الويد هي كتب الهنادكة المقدسة وهي أربعة كتب.

(٢) يقصد بالإحيائي إحياء المجتمع الهندوكي وتعاليمه.

وبناء على حديث (نيراد تشود هري): أصبح المسلمون في الهند بالنسبة إلى الهنادكة رغم جميع الأهداف العملية، كما ذكر بعض علماء الاجتماع الذين يعالجون النظام الاجتماعي الهندوكي، أصبحوا طبقة خارجة منغلقة.

بما أن التسامح الهندوكي ليس مبدأ فعالاً ودون عقيدة محددة فإن المسلمين يخشون كثيراً من الحركة الشاملة للتوفيق بين المعتقدات المتعارضة التي أوجدتها الهندوكية المحدثة.

تلك الحركة التي تبدي استعدادها لقبول الرسول محمد وفق مفاهيمها الخاصة كما فعلت مع بوذا ومن أهم هذه المفاهيم التي ستتسامح الهندوكية بموجبها مع الفئات الاجتماعية غير الهندوكية هي أنه يتوجب على تلك الفئات أن تتحمل بعض العناء لكي يتم انسجامها واندماجها داخل النظام الهندوكي الاجتماعي أو على الأقل تصبح وحدة من وحداته التأسيسية وتؤيد الروح الهندوكية وهذا يعني الترحيب بالفئات غير الهندوكية في مرتبة التبعية، إلا أن التعايش الفعلي مع الهندوكية أمر مستحيل لهذا السبب فقد شبهنا الهندوكية بشجرة البانيان.

يعتبر المسلمون، كما أسلفنا، الشعب الوحيد من بين عدد كبير من الفئات الاجتماعية العنصرية غير الآرية التي استوطنت الهند والذي رفض أن يكون فئة ضمن ما أسماه الدكتور (راجو) المجتمع الهندي.

بما أن المسلمين والهنادكة شغلا في التاريخ المناصب القطبية للغالب والمغلوب، لذا توارث الهنادكة جيلاً بعد جيل توصية بالكراهية تجاه الغالب، مع أن هذه الكراهية في معظمها أتت دون وعي. ويقول مثل إيطالي: إن الثأر ينام ولكن لا يموت أبداً، لذا يمكن تفسير الإبادة الجزئية والمذابح المتكررة التي ينفذها الهنادكة ضد المسلمين كنوع من الانفجار الخارجي للجمرات الكامنة طويلاً في نفوس الهنادكة وتحولها إلى لهب عنيف.